

تاريخ القبول: 2025-05-17

تاريخ الإرسال: 2024-12-08

سماتُ التَّفكير اللِّساني وأصول التَّحليل في اللِّسانيات الغربيَّة والعربيَّة
"دراسة مقارنة بين المدارس البنوية الغربيَّة والمدرسة الخليليَّة الحديثة"

**Characteristics of Linguistic Thought and Foundations of Analysis in
Western and Arabic Linguistics
"A Comparative Study between Western Structuralist Schools and
Modern Khalilian School"**

مهدي قويدر عياد¹، نورة كادي²

¹جامعة يحي فارس بالمدينة (الجزائر)، kouideraiad.mahdi@univ-medea.dz

²جامعة يحي فارس بالمدينة (الجزائر)، kadi.noura@univ-medea.dz

الملخص:

يشهد العصر الحديث تطورا ملحوظا لا يخفى على أهل اللسانيات، من خلال ظهور عدّة مدارس لسانية غربية بعد لسانيات "دي سوسير"، ومن أشهرها المدرسة الوظيفية، والمدرسة الاستغراقية، والمدرسة التّوليدية التّحويلية، في مقابل هذه المدارس الغربيّة نجد مدرسة عربية أصيلة وهي المسماة بـ "المدرسة الخليليَّة الحديثة". ومعلومٌ أنّ هذه المدارس الغربيّة ونظيرتهم المدرسة العربيّة تلتقي دراستهم في محور جامع هو دراسة اللّغة؛ لكن تتفرّد كلّ مدرسة في نظرتها إلى اللّغة باعتمادها على منهج خاص لدراسة هذه اللّغة؛ إمّا دراسة تقتصر على مستوى معين من مستويات اللّغة أو دراسة جميع تلك المستويات. وعليه فإننا نهدف من وراء إنجاز هذه الورقة البحثية إلى التّركيز على بيان منهج كلّ مدرسة من تلك المدارس البنوية الغربيّة، وبيان منهج المدرسة الخليليَّة بُغية عقد مقارنة بين هذه المدارس لننظر في طريقة التّحليل المعتمدة لدى أصحابها، وأيضا لإظهار مكانة هذه المدرسة ذات المفاهيم التي تعكس فكر "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، في الوقت الذي نشهد فيه انبهار البعض بنتائج تلك المدارس الغربيّة مقارنة بالنتائج التي قدّمتها المدرسة الخليليَّة، متجاهلين ما ينطوي تحت الدّرس العربي القديم والإنتاج العلمي لعلمائنا الأوائل. كما نوصي من خلال هذا البحث بضرورة العمل على بيان طريقة التّحليل العلميّة التي بذلها علماء اللّغة العربيّة واستنباطهم لقواعدها الدّقيقة، مع عدم الميل لأية نظرية بداعي التّعصّب الفكري، ودون الحطّ من قيمة أيّة نظرية لسانيّة مهما كان محتواها.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، اللّغة، المدارس الغربيّة، المدرسة الخليليَّة، المنهج.

Abstract:

The modern era has witnessed significant developments in the field of linguistics, which have attracted considerable attention from scholars. These developments are marked by the emergence of various Western linguistic schools post-Ferdinand de Saussure's foundational theories.

¹ المؤلف المرسل: مهدي قويدر عياد

Notably, these include the Functional School, the Immersion School, and the Generative-Transformational School. In stark contrast to these Western institutions, there exists a distinguished Arab school, known as the "Modern Khalilian School." It is acknowledged that while these Western schools and their Arab counterpart primarily focus on language studies, each adopts a distinct methodological approach to language analysis. These approaches can either be specialized, focusing on specific linguistic levels, or comprehensive, encompassing multiple levels of linguistic analysis. The primary goal of this research paper is to clarify and compare the methodologies employed by the aforementioned Western structuralist schools and the Khalilian School. This comparative analysis aims to explore their respective approaches to linguistic analysis. Furthermore, this study seeks to underscore the importance of the Khalilian School, which embodies the ideologies of Al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi. This is particularly pertinent in an era where the achievements of Western schools are often celebrated, potentially overshadowing the profound legacy of ancient Arab linguistics and the pioneering contributions of early Arab scholars. This research advocates for a focused examination of the scientific analytical methods utilized by Arab linguists in formulating precise grammatical rules. It emphasizes the need for an unbiased approach towards various theories, free from ideological predispositions, and stresses the importance of respecting the intrinsic value of each linguistic theory, regardless of its theoretical underpinnings.

Keywords: Linguistics, Language, Western Schools, Khalilian School, Methodology.

مقدمة:

في ظلّ النتائج التي يفرزها الدرس اللساني الحديث عموماً، وكشفه عن ظهور عدّة مدارس لسانية غربية تُهدف إلى دراسة اللّغة دراسة علمية موضوعية، وأشهرها تلك التي ظهرت بعد لسانيات "دي سوسير" وهي: المدرسة الوظيفية، والمدرسة الاستغرافية، ومدرسة النحو التوليدي التحويلي. كما أنّه لأعلام هذه المدارس الغربية وجهات نظر وزاوايا يرون منها ما يخدم بحوثهم والنتائج التي يريدون تحقيقها، مُعتمدين في الوقت نفسه على مناهج يعتمدون عليها في التحليل اللساني. فليس الدرس الغربي وحده من أخرج أصحابه نظريات لسانية جديدة، بل الدرس العربي هو الآخر أفرز لنا نظرية جديدة ذات محتوى عربي أصيل؛ إنّها "المدرسة الخليلية الحديثة"، والتي يمكن القول بأنّها تتفرّد بخصائص ومميزات تجعلها نظرية قويّة تنافس نظيراتها من تلك النظريات اللسانية في العالم الغربي. وأقرنا بقوّتها نظراً للمفاهيم التي استنبطها "عبد الرحمان الحاج صالح" من طريقة تفكير أهل اللّغة العربية الأوائل كـ "الخليل" و"سيبويه"، وعلى الرغم من أنّها نظرية حديثة ذات طابع تجديدي إلا أنّها حافظت على أصالة الدرس اللغوي العربي القديم، لثبّت أنّ هذا الدرس القديم درس استوفى شروط العلميّة ولم يُعرف بالنقص إطلاقاً، فحقّ له أن يُوصف بالدرس الذي سبق أصحابه زمانهم نظراً للنتائج التي توصّلوا إليها آنذاك، والتي وصلتنا باعتبارنا جيلاً يعيش العصر الحاضر ويقف وقفة انبهار لطريقة تفكير أولئك الأفاضل. لذا ابتغيّا في هذه الورقة البحثية بيان طريقة التحليل اللساني عند أصحاب المدارس اللسانية الغربية ونظرهم إلى اللّغة، بالمقارنة مع التحليل اللساني وفق ما جاءت به النظرية الخليلية الحديثة التي تعكس طريقة التحليل اللساني العربي القديم، أو بالأحرى ما قدّمته لنا في شكل جديد محافظ على أصالته في الوقت نفسه، ووضعها الوضع الذي تستحق بين النظريات اللسانية

بمات التّفكير اللّساني وأصول التّحليل في اللّسانيات الغربيّة والعربيّة

"دراسة مقارنة بين المدارس البنوية الغربيّة والمدرسه الخليليّة الحديثة"

العربيّة. وإنّا لتتقيّد في هذه الورقة البحثية بُغية الوصول إلى النتائج المرضية بإشكالية رئيسة مُفادها: بماذا تميّز التّحليل اللّساني العربي عن نظيره الغربي؟ وما أهم الاختلافات الجوهرية لهذا التّحليل؟ كما أنّنا نهدفُ من وراء هذا البحث إلى:

- بيان الفروق الجوهرية للتّحليل اللّساني بين النّظريات الغربيّة والنّظرية الخليليّة الحديثة.
- إبراز ما حقّقه "عبد الرحمن الحاج صالح" من وراء نظريته المبنية على أفكار اللّغويين القدامى.
- بيان ظهور النّظرية الخليليّة الحديثة في قالب حديث وأصيل دون تزييف للحقائق العلميّة.
- وجوب إعطاء هذه النّظرية حقّها ووصفها الوصف الذي يليق بها، ووضعها الوضع الذي تستحق بين النّظريات اللّسانية العربيّة.
- كما أنّنا سننطلق في الكشف عن نتائج هذا البحث معتمدين على المنهج الوصفي المقارن، والذي نراه يتناسب وموضوع البحث.

1. اتجاهات اللّسانيين العرب بين التّبني والتّخلي أو الجمع بين النّظريات اللّسانية الغربيّة والنّظرية العربيّة

القديمّة:

- يعرف ميدان اللّسانيات اختلافا في النّظرة إلى ما جاء به الدّرس اللّغوي عموما انطلاقا من اللّسانيات العربيّة كنظرية قديمّة إلى اللّسانيات الغربيّة متمثلة في تلك المدارس الحديثة؛ وهذا ما أشار إليه "عبد الرحمن الحاج صالح" أثناء حديثه عن مكانة اللّسانيات الحديثة في نظر العرب، حيث جعلها في اتجاهين هما:
- الاتجاه الأوّل وهو الذي يتشبّه بما قدّمه المتأخرون من مفاهيم لغوية، على الرغم من أنّ هذه المفاهيم هي غير المفاهيم العربيّة الأصيلة التي لا ترتبط إطلاقا بالمنطق اليوناني أو الفلسفة.
- الاتجاه الثاني وهو الذي يتجاهل الثّراث العربي كلّه ويجعله واحدا، اعتقاداً منهم أنّ الثّراث العربي قد عبّره التّاريخ وتجاوزته، فهو لا يمكن أن يساوي أو يضاهي النّظريات اللّسانية الغربيّة.¹
- انطلاقا من هذين الاتجاهين يمكننا القول إنّه لا يمكن تبني أفكار نظرية لسانية إلا بعد الاطلاع على محتوى تلك النّظرية، ومدى علمية ذلك المحتوى وصحّته، بصرف النّظر عن الزّمن الذي ظهرت فيه هذه النّظرية، لأنّ العلم يحتاج إلى التّزاهة والسّير مع الحقيقة والابتعاد عن التّعصب الفكري.

¹ ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيّة، موفم للنشر، ج01، دط، الجزائر، 2007م، ص227-228.

كما نجد لـ "مصطفى غلفان" رأياً يقارب رأي "عبد الرحمن الحاج صالح" في فصله بين اللسانيين، ونظرتهم إلى الإنتاج اللغوي العربي القديم في ميدان اللسانيات الحديثة عربية كانت أم غربية؛ حيث تمثل فصله بين توجهات اللسانيين في ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول يرفع من شأن التراث اللغوي العربي بجميع مستوياته فهم لا يقارنون هذا التراث باللسانيات؛ لأنهم لا يأخذون الامتداد الزمني بعين الاعتبار لقدم ظهور التراث وحدث اللسانيات، لكونهما يُقدِّمان محتوى واحداً. ليكون هناك اتصال عام يجمع التراثيات العالمية باللسانيات الحديثة، والدليل هو أنّ اللسانيات لا يمكنها أن تُوصَف بالعلمية وهي في استقلال وغيّ عن التراث اللغوي العربي وحتّى العالمي بأكمله. وأمّا **الاتجاه الثاني** فينظر إلى التراث بعين ناقدة رافضة لما جاء به النحو العربي من قياس وعامل وتقدير وعلّة وغيرها من المفاهيم، وكان هذا التقد في فترة النصف الثاني من القرن العشرين، على يد "تمام حسان" و "إبراهيم أنيس" و "عبد الرحمن أيوب" و "أنيس فريخة" وغيرهم ممن ساروا على درب هذا التقد. ويلحق بهم أيضاً بعض اللسانيين العرب المعجبين بالنظريات الحديثة كنظرية النحو التوليدي، مُعتمدين على فكرة أنّ التراث اللغوي العربي ليس من شأنه معالجة قضايا العربية في العصر الحديث، وهو ليس بمنزلة تلك النظريات اللسانية الغربية الحديثة كـ "الفاسي الفهري" على سبيل المثال. وأمّا عن **الاتجاه الثالث** فنجد أنّ أصحابه أقاموا فكرة الإحياء والتجديد، والنظر إلى التراث نظرة التوفيق بينه وبين اللسانيات الحديثة؛ أي إعادة قراءة التراث قراءة جديدة تجعل منه علماً يساير التطورات الحاصلة في ميدان اللسانيات. كان الهدف من وراء هذا التوفيق هو إثبات فكرة أنّ التراث العربي القديم سابق لعصره فهو يتسم بالحدثاء دائماً وهذا ما أثبتته على سبيل المثال "عبد الرحمن الحاج صالح".¹ بحيث لم ينطلق "عبد الرحمن الحاج صالح" في إعادة قراءة التراث من فراغ، ولم تكن له نظرة عبثية سواءً للتراث اللغوي العربي أو لتلك المدارس اللسانية الغربية؛ وأمّا سار على المنهج الذي مُفاده القراءة القائمة على تمحيص فكر قديم قصد فهم وتحيين جديدين من خلال المقارنة بين فكر لغوي قديم (التراث اللساني العربي) وفكر لساني حديث (النظريات اللسانية الحديثة).²

بعد هذا العرض المختصر لاتجاهات اللسانيين، ومن خلال وجهات نظرهم في التراث اللغوي العربي؛ وجدنا بأنّ منهم من يتبنى التراث القديم تبنيًا كاملاً ودليلهم هو أنّه لا تكون لسانيات حديثة بمعزل عن ارتباطها بالتراث، ومنهم من هو رافض له بدليل أنّه لم يعد هذا التراث صالحاً لدراسة اللغة العربية حديثاً عكس النظريات الغربية الحديثة، ومنهم من جاء

¹ ينظر: مصطفى غلفان: جدلية العلم وتاريخه: اللسانيات والتراث اللغوي العربي نموذجاً، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 28، العدد 08، 2020م، ص 248-249.

² ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات العربية "أسئلة المنهج"، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط01، الأردن، 2013م، ص 180.

بمات التّفكير اللّساني وأصول التّحليل في اللّسانيات الغربيّة والعربيّة

"دراسة مقارنة بين المدارس البنوية الغربيّة والمدرسة الخليليّة الحديثة"

بفكرة إعادة قراءة التّراث قراءة تجديدية مواكبة للعصر وللحدّثة.¹ وعليه فإنّ الاتجاه التّالث هو أفضل الاتجاهات رأياً؛ لأنّه يستحيل التّمسك بالتّراث دون تحيينه مع شرط المحافظة على أصالته. كما لا يمكن السّير مع كلّ شيء جديد والأخذ به، فلا يمكن الاستغناء عن التّراث العربي لأنّه فعلاً جاء بمفاهيم علمية دقيقة. فالأفضل هو الجمع بين ما هو تراثي وما هو حداثي، لتكون هناك نتائج جيّدة ويكون هذا التّراث صالحاً لكلّ زمان، وليس لزمان مُعيّن.

2. المدارس اللّسانية الغربيّة الحديثة ومنهجها المعتمد في وضع أهم مفاهيمها الخاصّة بها:

استدعت الجهود التي بذلها "دي سوسير" في ميدان اللّسانيات الغربيّة الحديثة من خلال المفاهيم التي طرحها لمن جاؤوا بعده، بأن تكون نتائج دراساته للغة الإنسانية مُنطلقاً لتشكّل مدارس لسانية غربية عديدة؛ فانطلق أصحاب هذه المدارس في بناء نظريات خاصّة بهم، مُعتمدين على منهج رأوه كفيلاً لتطوير تلك النّظرية اللّسانية. لذا سنركّز على ذكر أهمّ المدارس اللّسانية الغربيّة، ومنهجها الذي اعتمده، وما الجديد الذي قدّمته، بالمقارنة مع منهج المدرسة الخليليّة الحديثة كمدرسة عربية أصيلة.

1.2 المدرسة الوظيفية:

يُعتبر "أندري مارتيني" المولود سنة 1908م بفرنسا زعيم هذه المدرسة، حيث كان تخصّصه العلمي في اللّغة الألمانية، وعمل كمدير الدّراسات اللّسانية في معهد الدّروس العليا بباريس. وكان سبب تسمية هذه المدرسة بالوظيفية لأنّ أصحابها انطلقوا في دراسة اللّغة من الكشف عن جملة من الوظائف وخاصّة الوظيفة التّبليغية بين أفراد المجتمع.² كما أنّها كرّست مبادئ "دي سوسير" وعملت عليها في بناء مفاهيمها التي جاءت بها وأضافتها إلى البنوية؛³ أبرز هذه المفاهيم مفهوم الوظيفة و التّقطيع المُزدوج؛ فالباحث مُكلّف بإيجاد القطع الصّوتية ووظيفتها داخل التّركيب من خلال استبدال تلك القطع الصّوتية بقطع أخرى، ومن ثمّ النّظر في تغيّر المعنى بسبب ذلك الاستبدال، ولذلك كانت الوظيفة عندهم قائمة على تغيّر المعنى، فإنّ لم يتغيّر المعنى لم تكن هناك وظيفة للوحدات اللّغوية، كما أنّ تحليل المدوّنة يكون تحليلاً وظيفياً من خلال المقابلة بين الوحدات اللّغوية لأجل تحديد الفروق الوظيفية كأنّ نقول:

¹ ينظر: هبة خياري: خصائص الخطاب اللساني "أعمال ميشال زكريا نموذجاً"، دار الوسام العربي للنشر والتوزيع، ط01، الجزائر، 2011م، ص34.

² ينظر: شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، ط01، بيروت-لبنان، 2004م، ص16.

³ ينظر: التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومنهجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، ط02، رويبة-الجزائر، 2012م، ص11.

قال	الرَّجُل
سافر	الرَّجُل
ذهب	الرَّجُل

فاستبدال الكلمات على المستوى الإفرادي يكشف عن وظيفة كل كلمة داخل التركيب وتغيّر المعنى الذي يُعدُّ جوهر هذه المدرسة، وينطبق هذا المنهج أيضا على المستوى الصّوتي من خلال النّظر في الوحدات غير الدّالة (الفونيمات) التي توصّلنا إليها جرّاء تقطيعنا لبعض الكلمات الدّالة (المونيمات)، فعلى سبيل المثال لو نُقِّع الكلمات: قاد (ق/ا/د)، ساد (س/ا/د)، عاد (ع/ا/د) يتبيّن لنا تأثير الوحدات الصّوتية في تغيّر المعنى، فالنّقص المزدوج يقوم على مرحلتين: تقطيع أوّلي يُفرز عن الوحدات الدّالة أو المونيمات "Monèmes" كتقطيع جملة: أحضر الولد الكتاب = أحضر/ال/ولد/ال/كتاب، ليأتي بعدها تقطيع ثانوي مُفاده تقطيع تلك الوحدات الدّالة إلى وحدات غير دالة "Phonèmes"، ليكون هذا التّقطيع مبدأً يُضفي خاصيّة الاقتصاد اللّغوي إلى اللّسانيات "L'économiclinguistique" والذي يجعل اللسان البشري يميّز عن الأنظمة الاتّصالية الأخرى، وليكون الإنسان قادرا على إنتاج عدد لا متناهٍ من الأفكار والمعاني وبأقلّ الحروف.¹ فلم يكنف "مارتيني" بدراسة الأصوات والكلمات فقط؛ وإنّما شملت دراسته الوظيفية الجملة أو التّركيب أيضا واعتبره مجال الدّراسة، فالتركيب عند "مارتيني" يُشترط فيه الاستقلال والإفادة والإسناد، حيث جعل ركني الإسناد: المسند أو (الحكم) و المسند إليه (المحكوم عليه) أساسا لصحّة التّركيب وهو مُستقل عن أي تركيب آخر، فإنّ غاب أحد الرّكنين فسد التّركيب، وما زاد على الرّكنين كان فضلا لو حذفناه بقي الإسناد وبقيت الإفادة، فيمكن توضيح عناصر الجملة عند "مارتيني" كالآتي:

أمس	أقيم حفل	في القرية
وحدة مُستقلّة يمكن تقديمها أو تأخيرها.	التّركيب المكوّن أو التّركيب الإسنادي الذي لا يمكن حذف أحد عناصره وإلا فسد، ولا يُؤدّي وظيفة تبليغية.	وحدة غير مُستقلّة وهي تابعة للتّركيب الإسنادي.

وعليه فإنّ "مارتيني" اهتمّ بالجملة واعتبرها مجالا للدّراسة اللّسانية ووظّف المفاهيم النّحويّة التّقليدية.² استناداً على ما سبق يمكننا القول إنّ نظرة المدرسة الوظيفية إلى اللّغة لم تكن تتسم بذلك المستوى العالي الذي تستحقّه دراسة اللّغة الإنسانية، حتّى وإنّ كان "مارتيني" درس الأصوات والكلمات وحتّى الجملة لكنّه اقتصر على دراستها دراسة

¹ ينظر: شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 17-18-19.

² ينظر: خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبية للنشر، ط02، حيدرة-الجزائر، 2006م، ص 101-102.

بمات التّفكير اللّساني وأصول التّحليل في اللّسانيات الغربيّة والعربيّة "دراسة مقارنة بين المدارس البنوية الغربيّة والمدرسة الخليليّة الحديثة"

سطحية. فكان تحليل "مارتيني" السّطحي سببا في أن تُقدّم له عدّة انتقادات بسبب نظره السّطحية لمستويات اللّغة وتقطيعها تقطيعا بسيطا، وتركيزه في تحليله على شيء غير محسوس مُتمثلا في المعنى وعلمنا ركّزوا بالدرجة الأولى على الشّاهد ليصلوا إلى الغائب وليس العكس.¹ وأيضا لأنّ الوظيفين وبعد تقطيع مدرج الكلام إلى تلك الوحدات الّتي يُسمونها بالفونيمات واستبدالها بغيرها، فإذا بقيت الإفادة مع تغيّر المعنى فهي تحصيل "Actualisation"، وإن لم يتغيّر المعنى فهي عبارة عن وجه من وجوه الأداء "Variante".²

2.2 المدرسة التّوزيعية أو الاستغرافية (القرآنية):

تتتمي هذه المدرسة للتّيّار البنوي الأمريكي، وهي تختلف عن مدارس التّيّار البنوي الأوروبي، لكونها قامت بوصف اللّغات الأمريكيّة الأصليّة وهي لغات الهنود الحمر وصفا موضوعيا، تميّزت الدّراسة الوصفية عند أصحاب هذه المدرسة بالدّقة لأنّها كانت من عمق اللّسان في واقعه الحقيقي، وعلى الرّغم من صعوبة تلك التّحريات الميدانية إلا أنّهم قاموا باكتشاف منهج مُغاير للمناهج التّاريخية السّائدة وهو المنهج الاستغرافي؛ مُتمثلا في تقطيع النّصوص اللّغوية واستغراق جميع القرائن المتربّطة مع أحوالها يمينا وشمالا في مدرج الكلام، ومن ثمّ تصنيف هذه القرائن في فئات تتكافأ عناصر كلّ فئة في موقع واحد.³ حيث أبعد "بلومفيلد" المعنى من الدّراسة بسبب أنّه شيء غير محسوس لا يُمكن مُشاهدته، والتّركيز في الدّراسة هنا كان أساسه الميدان والمحسوس المُشاهد، واعتبار اللّغة سلوك لغوي وهذا نظرا لتأثرهم بالنّظرية السلوكية آنذاك، فالعنى على هذا الأساس يتأتّى لاحقا لأنّه يتحدّد بالألفاظ.⁴ فالجديد الّذي جاء به "بلومفيلد" هو أنّه قام بتحليل الجمل أو التّراكيب باعتبارها مؤلّفة من طبقات مندرجة تحت بعضها البعض؛ فقسم الكلام إلى مؤلّفات مباشرة يُمكن تقسيمها هي الأخرى إلى مؤلّفات نهائية ذات دلالة.⁵

نلاحظ من خلال التّحليل الّذي جاء به "بلومفيلد" أنّه خرج عن نطاق التّحليل السّطحي الّذي عُرف به "مارتيني" وهو تقطيع الأصوات والكلمات والتّراكيب أفقيا في مدرج الكلام واعتبارها بمثابة خط في سلسلة كلامية، بينما كان تحليل "بلومفيلد" المُتمثّل في الكلام انطلاقا من المكوّنات المباشرة وصولا إلى المكوّنات التّهابية تحليلا عموديا لأنّه اعتبر التّركيب عبارة عن طبقات يُمكن تقسيمها عموديا وليست مُجرّد تسلسل أفقي.

دراسة "بلومفيلد" تمثّلت في جملة من التّحليلات بُعيّة اكتشاف بنية الجملة؛ كالتّحليل على شكل عُلب مُتداخلة (عُلب هوكيت) بداية من تقسيم الجملة إلى مكوّناتها الكُبرى (مُرْكَب اسمي ومُرْكَب فعلي)، ثمّ تقسيم هذين المكوّنين

¹ ينظر: التّوائي بن التّوائي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص25.

² ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج01، ص210.

³ ينظر: التّوائي بن التّوائي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص25-26.

⁴ ينظر: خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص88.

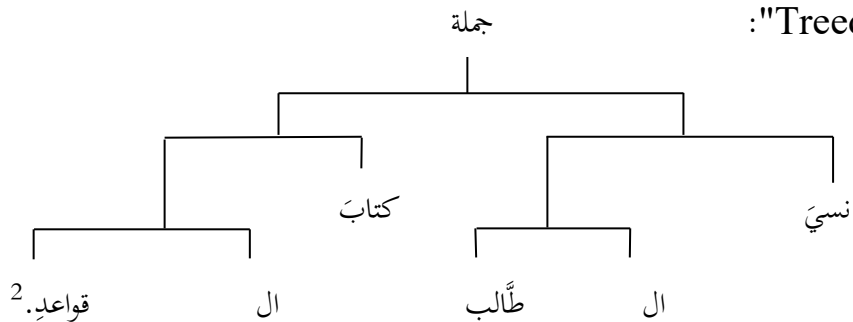
⁵ ينظر: بن زروق نصر الدين: محاضرات في اللسانيات العامة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط01، الأبيار-الجزائر، 2011م،

الكبيرين إلى مُكوّنات أخرى صُغرى، ثمّ نقوم بتقسيم هذه المكوّنات لنصل في الأخير إلى المكوّنات النهائيّة وهذا كلّهُ بالتّدرّج، فلو قمنا بتحليل جملة على هذا النّحو تكون النتيجة كالآتي:

الرجال الطّوال كتبوا الرسالة							
الرجال الطّوال				كتبوا الرسالة			
رجال		ال		طّوال		ال	
رجال	ال	طّوال	ال	كتبوا	ال	ال	ال
رجال	ال	طّوال	ال	كتبوا	ال	ال	ال
رجال	ال	طّوال	ال	كتبوا	ال	ال	ال

فهذا هو تقسيم "بلومفيلد" للجملة إلى مُركّب اسمي ومُركّب فعلي؛ لأنّه من جهة بنية اللّغات الأوروبيّة التي تفرض تقدّم الاسم على فاعله، ومن جهة أخرى منطق أرسطو الذي يفرض تحليل الجملة تحليلاً منطقياً يقتضي الموضوع أولاً ثمّ المحمول، فكان تحليل "بلومفيلد" الاندراجي مبنيّاً على القياس المنطقي الأرسطي القائل بفكرة اندراج شيء في شيء على أساس الجنس والفصل؛ أي تحديد كلّ فئة وهي مُندرجة تحت فئة أخرى.¹ إضافة إلى تحليل الجملة بطريقة (عُلب هوكيت) قدّم "بلومفيلد" طريقتين جديدتين للتّحليل. أمّا الطّريقة الشّائعة لهذا النّوع من التّحليل فهي التّمثيل بالأقواس "Brackting" وقد استلهمها بلومفيلد من الجبر:

((نسي)) ((ال)) ((طّالِب)) ((كتاب)) ((قواعد)) . وأحسن طريقة لتمثيل العلاقة بين المكوّنات هي



استناداً إلى ما سبق ونظراً لتحليلات "بلومفيلد" نلاحظ أنّه حاول دراسة اللّغة وركّز على المستوى التّركيبي (الجملة)، ودرسها دراسة رياضيّة؛ لأنّه وظّف مُصطلح (تقسيم) في التّحليل بطريقة (عُلب هوكيت) وهو مُصطلح رياضي، ثمّ وظّف الأشكال المُستعملة في الرياضيات كالأقواس في التّحليل الثّاني، والتّشجير في التّحليل الثّالث، وبهذا يكون قد تخلّص من

¹ ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج02، ص34-35-76. وينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: البنى

النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، دط، الجزائر، 2016م، ص262-263.

² أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط02، بن عكنون-الجزائر، 2005م، ص199.

سِمَاتُ التَّفْكِيرِ اللِّسَانِيِّ وَأَصُولُ التَّحْلِيلِ فِي اللِّسَانِيَّاتِ الْغَرِيبَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ

"دراسة مقارنة بين المدارس البنوية الغربية والمدرسة الخليلية الحديثة"

تحليل الجملة على النحو الذي يفرض تحليلاً خطياً في شكلها التسلسلي كما فعل "مارتيني"، ونظر في الجملة وحلّها تحليلاً عمودياً لأتّما عبارة عن طبقات يندرج بعضها تحت بعض.

لكن أُلْحِقَت المدرسة الاستغرافية بنظيرتها الوظيفية بأنّ وُجّه لها التّقد هي أيضاً؛ فالنّوزيعيون حتّى وإن كان اهتمامهم بالقرائن اللفظية في المستوى التركيبي يُقرّبهم من النّصور العربي القائل بقسمة التّركيب "Combinatoire" أو قسمة المواقع، إلا أنّهم لم يتخلّصوا من قيد التّقطيع إلى تلك الوحدات النّهائية وتصنيفها تصنيفاً ساذجاً ضمن أجناس متداخلة، عن طريق التّحديد بالجنس والفصل من خلال ذلك الاندراج والاشتمال لتلك الوحدات في بعضها البعض، ولم يهتمّوا بالعلاقات غير المباشرة التي تربط تلك العناصر اللّغوية.¹

2.3 المدرسة التّوليدية التّحويلية:

رائد هذه المدرسة هو الأمريكي "تشومسكي"، والذي أرسى قواعد هذه المدرسة انطلاقاً من نقده لمناهج التّحليل التي استعملها البنيويون الأوروبيون "دي سوسير" و "مارتيني" وغيرهم، والبنيويون الأمريكيون وعلى رأسهم "بلومفيلد"، فاعتمادهم على التّحليل التّصنيفي لمدرج الكلام دون تفسير عملية إحداث الكلام وإدراكه، هذا ما اعتبره "تشومسكي" منهجاً فاشلاً لم يتمكّن من تحليل العلاقات القائمة بين عناصر الجملة في المستوى التركيبي، فأخرج كتابه "البني التّركيبية" الذي يُمثّل بداية رواج أفكاره الجديدة.² حيث ارتكز "تشومسكي" في إرساء قواعد هذه المدرسة على مفهومي التّوليد والتّحويل؛ فالتّوليد هو القدرة الإبداعية الموقّرة لدى كلّ إنسان ينتمي إلى لغة ما، فهو قادر على إنتاج وفهم عدد لا متناهٍ من الجمل وحتى التي لم يسمعها من قبل، وهذا يحدث نظراً لطبيعة الإنسان ودون أن يشعر بامتناله لقواعد نحوية معينة، وأمّا التّحويل فهو عملية تربط البنى العميقة بالبنى السّطحية من خلال إجراء عدد من التّحويلات للبنى العميقة لنصل إلى البنى المتوسطة والسّطحية.³ فكان مفهوم البنية السّطحية (الأداء اللّغوي الفعلي للإنسان)، ومفهوم البنية العميقة (الكفاءة التّحتية للكلام) قد أبعدا "تشومسكي" عن مجرّد الوصف للمادة اللّغوية، ومكّناه من الاقتراب إلى النّاطقين بلغتهم الأم والتّمعن في تلك القدرة اللّغوية التي تُحوّلهم للقيام بالأداء اللّغوي.⁴

جاء "تشومسكي" بالعديد من المفاهيم الخاصّة به والتي تُؤسّس لنظريته، يُمكننا أن نذكر مثلاً يعبّس لنا أهمّ هذه المفاهيم، والتي تعبّس طريقة تحليله ودراسته للغة الإنسانية:

أ- البنية السّطحية:

ب- البنية العميقة:

¹ ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج01، ص210.

² ينظر: خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص103-104.

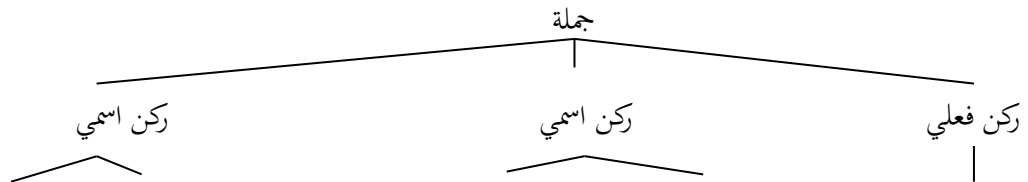
³ ينظر: أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص206-207.

⁴ ينظر: التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص55-57.

- ظَلُمَ النَّاسُ يُؤْلِمُكَ: ← - ظَلُمَ النَّاسُ لَكَ يُؤْلِمُكَ.
 - ظَلَمْتُكَ لِلنَّاسِ يُؤْلِمُكَ. ←
 - ظَلُمَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يُؤْلِمُكَ.¹ ←

أول ما نستنبطه من هذا المثال هو مفهوم التوليد الذي أشرنا إليه سابقا؛ بمعنى أنّ هذه الجمل كلها قالها أشخاص مُعيّنون بحيث تظهر الإبداعية التي أشار إليها "تشومسكي"، فكل شخص وبنفس الحروف تقريبا قالها بأسلوب خاص به. كما تضمّن هذا المثال مفهوم التحويل من خلال ربط الجملة الأصلية (البنية السطحية) بتلك الجمل التي تولدت عنها مُشكّلة (البنية العميقة). فالتحويل عند "تشومسكي" شبيه بالتحويل الذي عرفه نحائنا العرب؛ بحيث تنفّج عبارات عن عبارات أخرى، هي بمثابة أصول لها تُمثّل نواة باعتبارها مصدر التفرّيع، وعليه تُصبح لدينا أصول وفروع مُتناظرة، ليكون التحويل من خلال هذا التناظر عبارة عن إجراء أو حمل الشيء على شيء². ثمّ من التحويل ظهر لنا مفهوم البنية السطحية والبنية العميقة؛ فالبنية الأولى تُمثّل شكل الجملة وهي مُستعملة في عملية التّواصل، وأمّا البنية الثّانية فهي تلك العمليات الفكرية التي يُحدثها الإنسان في عقله لاشتقاق تلك البنى العميقة.³ فتلك الجمل التي تحوّلت عن الجملة الأصل قالها أصحابها وفق قاعدتين أساسيتين حسب "تشومسكي" القواعد التوليدية المركبة والقواعد التحويلية؛ وركّز على القواعد التحويلية لأنها تُمكن المتكلّم من إنتاج عدد كبير من الجمل والتي يبقى فيها المعنى قائما، كما أنّ القواعد التحويلية تتركز على القواعد التوليدية المركبة؛ فجملة (الولد فتح النَّافذة) تُعتبر الأساس الذي نقوم عليه في توليد عدد من الجمل (فتح الولد النَّافذة، النَّافذة فتحها الولد، فُتحت النَّافذة، فتح الولد النَّافذة بشكل كامل، فتح الولد جزءا من النَّافذة)، فهذه الجمل المولدة تُشكّل مفهوم التحويل عن طريق الإضافة والحذف والتّقديم والتّأخير والتّكرار وفق ما تقتضيه اللّغة في المقام أثناء عملية التّواصل.⁴

اشتهر "تشومسكي" في تحليله للجملة مُعتبرا إياها مجموعة من العناصر؛ عن طريق المشجر:



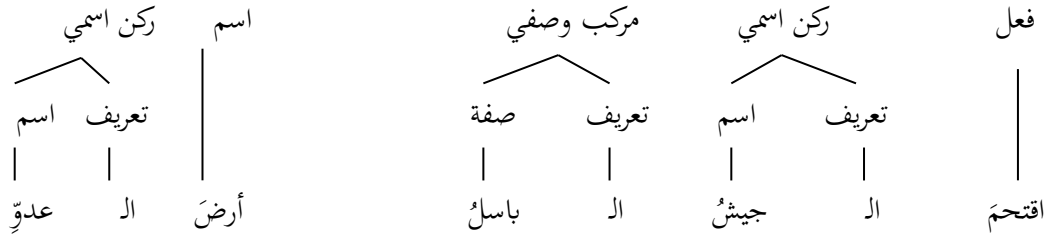
¹ السعيد شنوكة: مدخل إلى المدارس اللسانية، المكتبة الأزهرية للتراث، ط01، القاهرة-مصر، 2008م، ص122-123.

² ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج01، ص217.

³ ينظر: أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص212.

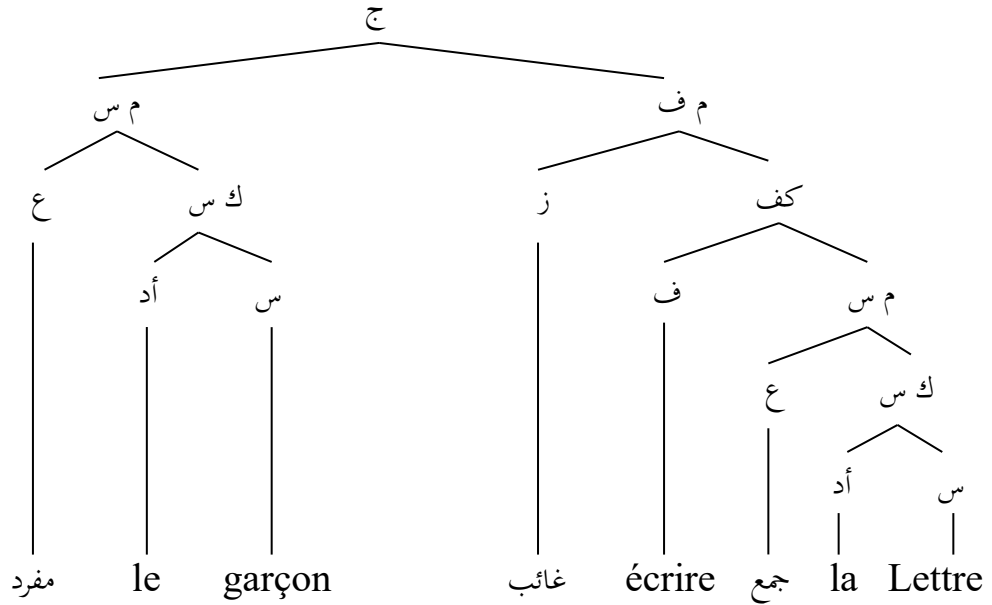
⁴ ينظر: بن زروق نصر الدين: محاضرات في اللسانيات العامة، ص90-91.

بماتُ التَّفكير اللِّساني وأصول التَّحليل في اللِّسانيات الغرِبيَّة والعربيَّة
"دراسة مقارنة بين المدارس البنوية الغرِبيَّة والمدرسَة الخليليَّة الحديثة"



اختصَّ الفعل بفرع خاص لأنَّ المثال خاص باللُّغة العربيَّة، فلو نُطبِق التَّشجير على إحدى اللُّغات الأوروبيَّة لكان الفعل ضمن مُركَّب فعلي.¹

ويمكنا تطبيق التَّحليل عن طريق التَّشجير على جملة باللُّغة الفرنسيَّة لنبيِّن أنَّ الفعل لا يختص بفرع لوحده كما في العربيَّة:



وعليه فإنَّ الهدف من التَّركيب الباطني المشجر هو رسم التَّركيب المستر للجملة وهو رسم تجريدي يمثل البنية التَّركيبيَّة للجملة.²

بعد عرضنا المختصر لذكر أهمِّ ما جاء به "تشومسكي" يُمكننا القول إنَّ دراسته للُّغة كان فيها نوع من الدِّقة والعلميَّة؛ فلم يَتَشَبَّثْ بِخَطِيئَةِ الكلام وتحليله تحليلاً سطحياً كما فعل "مارتيني" وحصره في تلك الوظائف، ولم يَتَوَقَّفْ عند حدود تحليل الكلام وفق الميكروانات القريبة والعلاقات المباشرة لعناصر الجملة كما فعل "بلومفيلد"، فـ "تشومسكي" انطلق في تحليله للُّغة الإنسانيَّة من الجملة ولم يُحلِّلها تحليلاً سطحياً (في مستوى البنية السطحيَّة)، وإمَّا اهتم بتلك العلاقات

¹ عادل فاخوري: اللسانيَّة التوليدية والتحويلية، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط02، بيروت-لبنان، 1988م، ص28.

² التواتي بن التواتي: المدارس اللسانيَّة في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص73.

الداخلية بعدما جاء بمفهوم التحويل من خلال إجراء الجُمَل وحَمَلها على بعضها البعض، فوصل إلى البنى العميقة لتلك الجملة، فكان منهجه يُشبه نوعاً من أنواع التحويل في اللغة العربية (التحويل التقديري)؛ لأنه فعلاً أدرك أن الجملة تحتل أكثر من معنى، على العكس من "مارتيني" و "بلومفيلد" اللذان اعتمداً منهجاً يقوم على المنطق الأرسطي الذي مُفَاذُه الاندراج والاشتمال وصولاً إلى تلك الوحدات التّهائِيَّة وتصنيفها في فئات من جنسها.

أشاد "عبد الرحمن الحاج صالح" بأفكار "نشومسكي" واعترف بعقريته التي قدّمت الإضافة للسانيات، وأرجع تلك العبقريّة لمعرفته عن النظريات اللغوية العربية؛ حيث درس النحو العبري الذي وضعه أحبار اليهود في فترة القرون الوسطى، ودرسته للأجرومية من طرف أستاذه "روزانتال"، بالإضافة إلى اهتمامه بالقاعدة التحويلية واعتبرها نمطاً يكتسبها الطفل ويسير عليه في إنتاجه للكلام، وأنها ليست مُجرّد معيار يُمَيِّز الصواب عن الخطأ، وإعماله لمفهوم التحويل الذي يربط ظاهر الكلام (البنية السطحية) بمعانيه الخفية (البنية العميقة)، ليكون قد اهتمّ بأحوال الخطاب والحديث وتجاوز الوصف الساذج للنظام التقابلي للغة.¹

3. المدرسة العربية الخليلية الحديثة ومنهجها في وضع أهم مفاهيمها الخاصة بها:

تتجسّد المدرسة الخليلية الحديثة في تلك الرؤية التّجديدِيَّة الأصبليَّة للتراث اللغوي العربي القديم، يرجع الفضل في هذا التّجديد لصاحبها وهو "عبد الرحمن الحاج صالح" الذي قام بإحياء الإنتاج العلمي لعلمائنا الأوائل، فكان موقفه من هذا التّجديد مُبرّراً فابّجّه في نظريته: إلى إعادة قراءة التراث اللغوي العربي الأصيل، والبحث عن خباياه، لا حُبّاً للقديم في ذاته، ولا مُحافظَةً من أجل المحافظة، وإنما بُعِيَّة التّنبه إلى الطّفرة التّلقائية المفاجئة التي أحدثها سببويه وشيوخه وتلاميذه في تاريخ علوم اللسان البشري بعد أن تحامل عليهم كثير من الدّارسين الذين تأثّروا بالمناهج الغربية الحديثة.² حيث إنّ "عبد الرحمان الحاج صالح" لم يُحدِث تغييراً في المفاهيم التي جاء بها علماءنا الأوائل، سوى أنّه اقترح مصطلحات لهذه المفاهيم؛ وهذا لأنّه رأى بأنّها مفاهيم جدّ دقيقة تتسم بالعلميّة. ويُشير "عبد الرحمن الحاج صالح" إلى أنّ سبب إطلاق هذه التسمية على هذه المدرسة فيقول: أمّا فيما يخصّ النظرية الخليلية الحديثة فسمّيت هكذا بالتّغليب لأنّ الخليل رحمه الله وإنّ كان هو العماد فيها إلا أنّه قد أخذ كثيراً عن شيوخه، ثمّ إنّ سببويه لم يكن من المُقلّدين أبداً، بل أثرى هذه النظرية هو ومن جاء بعده كالأخفش والمازني ولا سيما مدرسة ابن السّراج مثل أبي علي الرمانى والسّيراني والرّجّاجي، ثمّ ابن جني وبعدهم بكثير الرضي الأسترابادي وهو من أُرصن العُلَماء وأكثرهم أصالة وهو شاذ في زمانه.³

على إثر هذا يمكننا القول إنّ "عبد الرحمن الحاج صالح" انطلق في بناء هذه النظرية الجديدة غير مُتمسك بالقديم وحده ولا بالجديد وحده؛ لكنّه اكتشف أنّ علمائنا الأوائل قد برعوا في دراستهم للغة العربية، وأفرزت دراساتهم عن نتائج قيّمة،

¹ ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 01، ص 215.

² محمد صاري: المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللسانيات، المجلد 10، العدد 02، 2005م، ص 09-10.

³ عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 01، ص 20.

بماتُ التَّفكير اللِّساني وأصول التَّحليل في اللِّسانيات الغربيَّة والعربيَّة
"دراسة مقارنة بين المدارس البنوية الغربيَّة والمدرسة الخليليَّة الحديثة"

أراد أن يصوغها صياغة جديدة مُركِّزا على جانب المحافظة على أصالتها، دون أن يُنقص من شأن أولئك الثَّلة البارزة من عُلمائنا.

استبعد "عبد الرحمن الحاج صالح" في بناء هذه النَّظرية فكرة الدِّراسة القائمة على النَّظر فقط إلى مدرج الكلام وتسلسل وحداته الدَّالة وغير الدَّالة، وأُما انطلق من اعتبار الكلام خطاب فعلي حاصل بين المتكلم والسَّامع؛ لأن "الخليل" و "سيبويه" ركَّزا في تحليلهما للكلام على الواقع المحسوس، فلم تُكُن نظرتهما إلى اللِّسان في ذاته والوقوف عند حدود وصفه، بل نَظَرًا في تَصَرُّف النَّاطق بهذا اللِّسان في مبادئه وتفريعه فيه الفروع من الأصول، بتعبيره عن اللامتناهي من المعاني بألفاظ مُتناهية معدودة، وهذا الأمر نفسه أشار إليه "تشومسكي"، وهذه السِّمة جعلها أساس المفاضلة بين النَّظرية الخليليَّة الحديثة وباقي النَّظريات.¹

كما جعل "عبد الرحمن الحاج صالح" بعض المفاهيم الَّتِي اكتشفها "الخليل" و "سيبويه" وهما بصدد دراسة وتحليل اللُّغة العربيَّة أساسا لدراسته، يقول "عبد الرحمن الحاج صالح" في المنهج الَّذِي اعتمدا عليه في وضع النَّحو العربي: أَمَا النَّحو العربي الخليلي فهو لا يقتصر على التَّحديد بالجنس والفصل من خلال الصِّفات المميِّزة وبالتالي لا يكتفي بعملية الاشتمال، بل يتجاوزها بإجراء الشَّيء على الشَّيء أو حمل العنصر على الآخر.²

ننتقل في توضيح أهم مفاهيم هذه النَّظرية من خلال هذا الجدول:

0	زيدٌ	قائمٌ	
إنَّ	زيدًا	قائمٌ	هنا
كان	زيدٌ	قائمًا	أمس
حسبتُ	زيدًا	قائمًا	غلطًا
أعلمتُ عمرًا	زيدًا	قائمًا	حالًا
أكرمَ	زيدٌ	عمرًا	إكرامًا
أكرمُ	تُ	عمرًا	كثيرًا
العامل	المعمول الأوَّل	المعمول الثَّاني	مُخصَّص

المفهوم الأوَّل الَّذِي نستنبطه من هذا الجدول هو مفهوم **الأصل والفرع**؛ فالجملة الأولى (زيدٌ قائمٌ) تُعتبر أصلا لأنَّ الأصل يتحدَّد بعدم الزِّيادة، وعندما أدخلنا تلك الرُّوائد في الجُمْل الَّتِي جاءت بعد الجملة الأصل أصبحت فروعها لها.³ ليُتَّضح لنا أنَّ عُلمائنا انطلقوا من الجملة الاسمية واعتبروها أصلا كما في "زيدٌ قائمٌ"، والجمل الَّتِي بعدها محمولة عليها فهي فروع عن الأصل، وهذا ما فصَّل فيه "سيبويه" بقوله: هذا باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يغني واحد منهما عن

¹ ينظر: المرجع نفسه: ج02، ص90-91. ج01، ص20.

² المرجع نفسه: ج01، ص212.

³ ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربيَّة، ج01، ص253-254.

الأخر، ولا يَجِدُ الْمُتَكَلِّمُ منه بُدًّا. فَمِنْ ذَلِكَ الاسم المبتدأ والمبني عليه. وهو قولك عبدُ الله أخوك: وهذا أخوك. ومثل ذلك: يذهبُ عبدُ الله، فلا بُدُّ للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأوَّلُ بُدًّا من الآخر في الابتداء. ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك: كان عبدُ الله مُنْطَلِقًا، وليتَ زيدًا مُنْطَلِقًا؛ لأنَّ هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده واعلم أنَّ الاسم أوَّلُ [أحواله] الابتداء، وإِنَّمَا يَدْخُلُ النَّاصِبُ وَالرَّافِعُ سِوَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْجَارِ عَلَى الْمَبْتَدَأِ. ألا ترى أنَّ ما كان مبتدأً قد تَدْخُلُ عليه هذه الأشياءُ حَتَّى يَكُونَ غير مُبْتَدَأٍ، ولا تَصِلُ إلى الابتداء ما دام مع ما ذَكَرْتُ لك، إلا أن تدعه. وذلك أنَّك إذا قُلْتَ: عبدُ الله مُنْطَلِقًا، إن شِئْتَ أَدْخَلْتَ رَأَيْتُ عليه فُكُلْتَ: رأيتُ عبدَ الله مُنْطَلِقًا، أو قُلْتَ: كان عبدُ الله مُنْطَلِقًا أو مَرَزْتُ بعبدِ الله مُنْطَلِقًا، فالمبتدأ أوَّلُ جُزْءٍ كما كان الواحد أوَّلَ العدد والتَّكْرارِ قَبْلَ المَعْرِفَةِ.¹ إضافة إلى أنَّ الانتقال من الأصل إلى الفروع يقوم على الزيادة؛ لأنَّ الزيادة على الأصل هي نوع من التَّحْوِيلِ على حدِّ تعبير اللسانيات.² بمعنى أننا تَحَوَّلْنَا من الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية عن طريق تلك الزيادة التي أدخلناها على الجملة الأصل، وفي حال قُمْنَا بحذفها رجعنا إلى الأصل الأوَّل.

بُجَيْدُ تلك الزيادة مفهوماً آخر وهو مفهوم العمل؛ حيث إنَّ تلك الزيادة التي دخلت على الجملة الأصل أثَّرت لفظياً من ناحية الشَّكْلِ فتغيَّرت العلامات الإعرابية لتلك الجُمْلِ الفروع، وتغيَّرَ المعنى الأصلي كذلك، فاعتبر نُحَاتْنَا تلك الزيادة عاملاً لفظياً بينما كان العامل في الجملة الأصل معنوياً وهو الابتداء، كما يُمكن أن يكون العامل كلمة واحدة (إنَّ) أو لفظة (حسبث) أو جملة (أعلمتُ عمراً) أو يكون فعلاً (أكرم)، والعنصر الأوَّل بعد العامل (المبتدأ) و (الفاعل) هو المعمول الأوَّل، فيُكَوِّنُ العامل مع المعمول الأوَّل زوجاً مُرتَّباً لا يتقدَّم فيه المعمول الأوَّل على عامله أبداً، ثُمَّ يأتي العنصر الثَّانِي (الخبر) و (المفعول به)، ويمكن أن يكون عنصرٌ ثالث بعد العامل أو لا يكون، وهو يتمثَّل في المِخَصَّصَات وهي جميع المفاعيل والحال والتَّمييز (عدا المفعول به لأنَّه يكون معمولاً ثانياً).³ ومن هذا المنطلق فإنَّ مفهوم العمل هو المفهوم الدِّينامي الذي يبني عليه المستوى التَّركيبي للُّعْة، فهو يهتَمُّ بالنَّظَرِ في داخل الجملة وليس في شكلها التَّسلسلي وتتابع عناصرها في مدرج الكلام، انطلاقاً من تأثير عنصر في عنصر آخر لفظاً ومعنى.⁴

فالعامل في النَّظَرِ الخليليَّة الحديثة يُعْتَبَرُ محور التَّركيب والأساس الذي تقوم عليه تلك التَّحويلات؛ لأنَّ به تتغيَّر الحالة الإعرابية من خلال تغيُّر العلامة الإعرابية، وهذا بدوره يُغيِّر من الدَّلالة المنطقيَّة للتَّركيب اللُّغوي من خلال تلك المعاني النَّحويَّة (المفعولية، الفاعلية، الحالية.. إلخ)، دون تغيُّر عناصر ثنائية العامل والمعمول التي تُمثِّل البناء النَّحوي التَّركيبي، على العكس تماماً من العامل في نظرية "تشومسكي" الذي اقتصر دوره على بيان العناصر التي يتحكَّم فيها مُكوِّنُها وعدم

¹ سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ج01، ط03، القاهرة-مصر، 1988م، ص23-24.

² التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص101.

³ ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج01، ص253-254.

⁴ ينظر: التواتي بن التواتي: المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص107-108.

تحديده لتلك الدلالات المنطقية المختلفة؛ فاهتمَّ بالعامل التركيبي دون المعنوي على الرُّغم من اعتماده على بيان البنية السطحية والعميقة للجملة.¹

بعد أن طَبَّقْنا نُحَاتِنَا الأوائل القياس النَّحْوِي الخاص بالبِنْيِ اللُّغَوِيَّةِ إفراداً وتركيباً؛ وبعد حملهم تلك الجُمَلِ الفروع على الجملة الأصل وجدوا أنَّ هناك تكافؤ حاصل بينها.² فاكتشفوا تلك البنية الجامعة للجملة المفيدة اسمية كانت أم فعلية، ووضعوها في شكل مُعادلة رياضية تُمَثِّلُ مجموعة العامل ومعمولاته والمخصَّصات: [ع (1م±2م±) ± خ، وهذا يُجسِّد مفهوم المِثَالِ في النَّظَرِيَّةِ الخليلية الحديثة.³ نفهم من خلال هذا أنَّ التَّكافؤ حدث بسبب عدم مجيء أي عنصر لغوي آخر في غير موضعه حتَّى وإنَّ انتقلنا من الجملة الأصل إلى الفروع ولم يَحْتَلِّ ترتيب المواضع؛ فموضع العامل بعد أن كان شاغراً احتلَّه بعدها حرف التَّوكِيدِ (إِنَّ) في الجملة الاسمية والفعل (أَكْرَمَ) في الجملة الفعلية، وموضع المَعْمُولِ الأوَّلِ بعد أن كان يَحْتَلُّه مبتدأ (زيد) احتلَّه فاعل (زيداً)، وموضع المَعْمُولِ الثَّانِي بعد أن كان يَحْتَلُّه خبر (قائم) احتلَّه المفعول به (عمراً) وهكذا، وهذا يُبَيِّنُ لنا حقيقة التَّكافؤ كمفهوم رياضي، بمعنى أنَّ الجمل الفروع هي بمنزلة الجملة الأصل.

ومن خلال مفهوم المِثَالِ نستنبط مفهومًا آخر من مفاهيم هذه النَّظَرِيَّةِ وهو مفهوم المَوْضِعِ، ويُعرِّفه "عبد الرحمن الحاج صالح" بأنَّه: موقع تقديري واعتباري أي مُجَرَّدٌ، تقتضيه بنية الجملة في مستوى التَّركيبِ وقد يكون خالياً فلا يظهر له أثر في اللَّفْظِ المسموع. فهو وضع مُعَيَّنٌ يجب أن يكون عليه كلُّ واحد من مُكوِّنات الجملة لفظاً وتقديراً، فقد تخلو الجملة من بعض أجزائها إلا أنَّ مواضعها موجودة مُتَّصِوَرَةً مرسومة في مثال الجملة أي نمطها وقياسها. وما يُقَالُ عن الموضع هاهنا يمكن أن يُقَالُ عن الموضع في مستويات أدنى منها.⁴

استناداً على هذا نستخلص أنَّ الموضع يبقى ثابتاً في مستوى المِثَالِ؛ فموضع العامل مثلاً في الجملة الأصل كان شاغراً لكنَّ المتمكن في اللُّغَةِ العربية يُدْرِكُ أنَّ هذا الموضع خاص بعامل الابتداء حتَّى وإنَّ لم يظهر، وعلى الرُّغم من التَّحْوِيلِ والانتقال من الجملة الأصل إلى الجمل الفروع حافظ كلُّ عنصر على موضعه؛ لأنَّه بعد التَّحْوِيلِ لم يَحْدُثْ وأنَّ أخذ العامل موضع المَعْمُولِ الأوَّلِ، أو أخذ المَعْمُولِ الثَّانِي موضع العامل، فمُحَاظَفَةُ كُلِّ مَوْضِعٍ على ثبات العنصر الذي يَحْتَلُّه تدلُّ على دقَّةِ اللُّغَةِ العربية وعلى أنَّ العقل العربي عقلٌ رياضي تمكَّن من تجريد القوانين الدَّاخِلِيَّةِ الَّتِي تُحْكَمُ اللِّسَانِ العربي، وأدركوا بعقولهم أنَّ هناك روابط تُصِلُ عناصر التَّركيبِ ببعضها البعض، واكتشفوا تلك المواضع الاعتبارية لعناصر التَّركيبِ وهي لا تظهر بالعين المُجَرَّدَةَ بل موجودة في أذهان المتكلمين، حيث يستندون إليها في كلامهم من خلال توظيف كلِّ عنصر لُغَوِيٍّ حسب ما يقتضيه موضعه.

¹ ينظر: شفيقة العلوي: العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العملي لنظام تشومسكي، مجلة حوليات التراث، المجلد 07، العدد 07، 2007م، ص 14-15.

² ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، دط، الجزائر، 2012م، ص 159-160.

³ ينظر: المرجع نفسه، ج 02، ص 16.

⁴ المرجع نفسه، ج 02، ص 13.

بعد عرضنا لأهم مفاهيم النظرية الخليلية، نُشير إلى أنَّ أغلب مفاهيم النظرية الخليلية لا تخصُّ مستوى واحدا من مستويات اللُّغة، بل تشمل جميع مستويات اللُّغة؛ إلا أننا ركَّزنا على المفاهيم التي تختصُّ بها الجملة. فدراسة عُلمائنا للُّغة العربية جمعت بين النَّظر إلى الكلام في تسلسله الحطِّي وهو في صِلَة نائمة بعمقه، وهذا ما أوضحناه من خلال عرضنا لمفهوم الأصل والفرع، وخاصَّة مفهوم المثال كبناء تجريدي وظيفته تنظيم عناصر الجملة في مدرج الكلام حيث خصَّص "عبد الرحمن الحاج صالح" جزءًا من أبحاثه بعنوان: المثال كمفهوم عربي لا مُقابل له في اللِّسانيات الغربية.¹ وحتى في تلك العملية العقلية (القياس النَّحوي) وهو منهج اللُّغويون العرب، خلافا لمنهج اللِّسانيات الغربية (الاندراج أو الاشتمال).

استنادًا على ما سبق خلَّصنا إلى أنَّ النظرية الخليلية الحديثة نظرية ناجحة؛ لأنَّ من شروط نجاح النظرية أنَّها لا تقوم بإقصاء ما ثبت انتمائه إلى موضوعها، ولا تُهمَل شيئًا يَلزُمه، وتُدرك ما فيه، ولا يغيَّب عنها شيء منه.² وهذه الشروط توفَّرت كلُّها في النظرية الخليلية الحديثة بحيث لم تحمل شيئًا من التُّراث اللُّغوي العربي، بل أضفت عليه لمسة تجديدية مُحافظَةً على أصالته في الوقت نفسه. وهذا لا يعني أننا نصِّف المدارس اللِّسانية الغربية بأنَّها فاشلة، بل هي الأخرى مدارس ناجحة، فقط وجدنا أنَّ هناك تفاوت في هذا النَّجاح انطلاقًا من أنَّ كلَّ واحدة منها نجحت إلى حدِّ ما حسب النتائج التي حقَّقتها.

4. خاتمة:

في ختام البحث يمكننا القول إنَّ المدرسة الخليلية الحديثة كمدرسة ذات تفكير عربي أصيل، تستحق أن تكون لها مكانة بين تلك المدارس اللِّسانية الغربية، خاصَّة إذا نظرنا إلى طريقة التَّحليل اللِّساني المعتمدة في المدرستان الوظيفية والاستغرافية، ما عدا النظرية التَّوليدية التَّحويلية التي تجاوز فيها "تشومسكي" التَّقطيع الذي اشتهرت به تلك المدرستان في التَّحليل اللِّساني، وبهذا فإنَّ جميع هذه المدارس قدَّمت للِّسانيات زادًا معرفيًا من شأنه أن يكون مصدر إلهام لبحوث كثيرة من شأنها أن تأتي بأفكار جديدة تُحَدِّم مجال البحث اللِّساني عموماً، وقد أفرز البحث عن جملة من النَّتائج نذكرها على النَّحو الآتي:

- التَّحليل اللِّساني عند "مارتيني" أساسه البحث في وظائف الأصوات والكلمات بعد عملية التَّقطيع والاستبدال لتلك الأصوات أو الكلمات للنَّظر في تعيُّر المعنى من عدمه؛ لأنَّ المعنى هو الأساس عند "مارتيني"، وحتى إنَّ شملت دراسته مستوى الجملة إلا أنَّه اهتم بسلامتها بوجود المسند والمسند إليه وباستقلالها وإفادتها فقط، فكان تحليله تحليلًا سطحيًا لم يصل إلى عمق اللُّغة والعلاقات الدَّاخلية التي تحكُّمها.

- التَّحليل اللِّساني عند "بلومفيلد" قام على المشاهدة المباشرة لسان الهنود الحمر والسَّماع منهم، فهو تحليل أساسه التَّحري الميداني باعتبار اللُّغة شيء محسوس ولهذا أجَّل دراسة المعنى لأنَّه شيء غائب، فاهتم في دراسته للُّغة الهنود الحمر

¹ عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص251.

² ينظر: محمد الأوراعي: الوسائط اللغوية "أقول اللسانيات الكلية"، دار الأمان، ج1، ط02، الرباط-المغرب، 2013م، ص65.

بمات التفكير اللساني وأصول التحليل في اللسانيات الغربية والعربية

"دراسة مقارنة بين المدارس البنوية الغربية والمدرسة الخليلية الحديثة"

انطلاقاً من التحليل العمودي للجملة، فوجب بالنسبة إليه تقسيمها عمودياً لأنها تحتوي على طبقات تحتها إلى غاية الوصول إلى أجزائها النهائية، فمجرد نظره إلى الجملة بأنها متكوّنة من عناصر تربطها علاقات مباشرة، وتقسيمها للوصول إلى أجزائها النهائية لم يجعله هو الآخر يصل إلى عمق اللغة.

- اتسم تحليل "تشومسكي" بالدقة العلمية أكثر مقارنة بتحليل "مارتيني" و "بلومفيلد"؛ لأنه لم يتوقف عند وصف وتحليل اللسان تحليلاً سطحياً، بل جاء بمفهوم التحويل والذي يبيّن علاقة غير مباشرة بين ظاهر الكلام وعمقه، وهذا ما يمثّل البنية السطحية والبنية العميقة انطلاقاً من احتمال الجملة لعدّة معانٍ، وهذا إنجاز في حدّ ذاته لأنه اخترق مدرج الكلام وأدرك تلك العلاقات الداخلية التي يُدرِكها العقل لأنها لا تظهر في تسلسل عناصر الجملة.

- بلغ التحليل اللساني عند "الخليل" و "سيبويه" باعتماد المفاهيم التي استنبطها "عبد الرحمن الحاج صالح" من علم هؤلاء العلماء أعلى درجات الدقة العلمية؛ لأنّ أغلب تلك المفاهيم يمكن استثمارها في تحليل جميع مستويات اللغة، ففي مستوى التركيب انطلق من اعتبار أنّ الجملة الاسمية المتكوّنة من مُسند ومُسند إليه أصل وبعد زيادة العناصر عليهما تُصبح تلك الجمل فروعاً، ثمّ نظر في التغيّرات التي تطرأ على الجملة ووضعها تحت مُسمّى العمل، ليقوم بعدها بتجريد قوانين هذا البناء ليضع له مثلاً هو بمثابة هيكلها العظمي، تُمثّل عناصره مجموعة من المواضع الاعتبارية، وهذا كلّه يعكس دقّة اللغويين العرب الذين استقى منهم "عبد الرحمن الحاج صالح" هذه المفاهيم.

- اتّفتت هذه المدارس جميعها في دراسة اللغة، لكنّها اختلفت في مناهجها؛ فالوظيفية والاستغرافية منهجها متأثراً بالمنطق الأرسطي ومفادُه الاندراج والاشتمال بُغية التّوصل إلى تلك العناصر اللغوية ووضعها في فئات من جنس واحد، وأمّا التّوليدية التّحويلية اعتمدت منهاجاً تحويلياً يقتضي حمل الجُمَل بعضها على بعض لاكتشاف تلك البُنى العميقة للبنية السّطحية، وأمّا المدرسة الخليلية الحديثة اعتمدت على منهج القياس النَّحوي بإجراء الشّيء على الشّيء، فاكتشفت شيئاً مُهمّاً وهو التّكافؤ الحاصل في المستوى الإفرادي والتّركيبي وهذا ما انعكس في مفاهيمها التي ذكرناها.

- وقف "عبد الرحمن الحاج صالح" موقف التّوفيق بين التّراث والجديد، فلم يهمل علم "الخليل" و "سيبويه" ومن تبعهم وإنّما أمعن النّظر فيه، واطّلع على الجديد من نتائج اللسانيات الغربية، فقام بعقد مُقارَنة بين التّراث والجديد وأخرج لنا نظرية عربية أصيلة اتّسمت بالدقّة والشّمول على العكس من التّطبيقات اللسانية الغربية التي قامت كلُّ واحدة منها على محاولة تصحيح أخطاء سابقتها.

- تحقيق التّناج في ميدان اللسانيات لا يكون من خلال التّمسك بالتّراث وعدم الأخذ بالجديد، ولا من خلال الاهتمام بالجديد وإلغاء التّراث؛ بل بالنّظر في كلاهما والانطلاق من كلّ ما من شأنه أن يكون له طابع العلميّة والدقّة سواء كان من التّراث أم كان من الحديث.

5. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

1. الأوراعي، محمد، (2013م)، الوسائط اللغوية "أفول اللسانيات الكلية"، الرباط-المغرب، دار الأمان.
2. بن التواتي، التواتي، (2012م)، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، روية-الجزائر، دار الوعي للنشر والتوزيع.
3. بن زروق، نصر الدين، (2011م)، محاضرات في اللسانيات العامة، الأبيار-الجزائر، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.
4. الحاج صالح، عبد الرحمن، (2007م)، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج01، الجزائر، موفم للنشر.
5. الحاج صالح، عبد الرحمن، (2012م)، منطق العرب في علوم اللسان، الجزائر، موفم للنشر.
6. الحاج صالح، عبدالرحمن، (2016م)، البنى النحوية العربية، الجزائر، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية.
7. خيارى، هبة، (2011م)، خصائص الخطاب اللساني "أعمال ميشال زكريا نموذجاً"، الجزائر، دار الوسام العربي للنشر والتوزيع.
8. سيويوه، (1988م)، الكتاب ج01، القاهرة-مصر، مكتبة الخانجي.
9. طالب الإبراهيمي، خولة، (2006م)، مبادئ في اللسانيات، حيدرة-الجزائر، دار القصبه للنشر.
10. العلوي، شفيقة، (2004م)، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، بيروت-لبنان، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع.
11. غلفان، مصطفى، (2013م)، اللسانيات العربية "أسئلة المنهج"، الأردن، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.
12. فاخوري، عادل، (1988م)، اللسانية التوليدية والتحويلية، بيروت-لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر.
13. مومن، أحمد، (2005م)، اللسانيات النشأة والتطور، بن عكنون-الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

• المقالات:

1. صاري، محمد، (2005م)، المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة، مجلة اللسانيات، المجلد 10، العدد 02،

بماتُ التّفكير اللّساني وأصول التّحليل في اللّسانيات الغربيّة والعربيّة

"دراسة مقارنة بين المدارس البنوية الغربيّة والمدرسه الخليليّة الحديثة"

2. العلوي، شفيقة، (2007م)، العامل بين النظرية الخليلية الحديثة والربط العاملي لنظام تشومسكي، مجلة حوليات

التراث، المجلد 07، العدد 07، 20-07.

3. غلفان، مصطفى، (2020م)، جدلية العلم وتاريخه: اللسانيات والتراث اللغوي العربي نموذجاً، مجلة جامعة بابل

للعلوم الإنسانية، المجلد 28، العدد 08، 258-240.